

الأساس الأيديولوجي والمقاربة العلمية (السوسيولوجية) للعنف

Ideological Foundation And Scientific Approach (Sociological) Of Violence

الدكتورة: مداني سليمة

قسم العلوم الاجتماعية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة البليدة 2

ملخص:

العنف موضوع اهتمام واسع اليوم في مجتمعاتنا. فالحروب، التصفيات العرقية، المجاعات، التعصب، العنف الشبابي، سوء المعاملة الأسرية، جزء من حياتنا اليومية. العنف في كل مكان والإعلام جعله مبتذل وعادي (Banaliser) لما أصبح موضوعا مفضلا له. يهدف هذا العمل إلى اقتراح مجموعة من التعاريف للألفاظ المرتبطة بالعنف والعدوانية وإظهار الطابع القيمي/المعياري لهذه التعاريف. سيهتم أيضا بتقرير وعرض نماذج التمثلات (الأطر النظرية) المقترحة من طرف مختلف العلوم (المقاربة الأنثروبولوجية، علم الطبائع، وجهة النظر النفسية والمقاربات السوسيولوجية) التي تناولت الموضوع بالتفسير والبحث في أسبابه وآلياته. الكلمات المفتاحية: العنف، العدوانية، المقاربات النظرية للعنف، العنف الرمزي.

Abstract:

Violence is a subject of wide interest in our societies today. Wars, ethnic playoffs, famines, intolerance, youth violence, ill-treatment in family, became a part of our everyday lives. Violence is everywhere and the media make it tacky and normal since it has become a favorite subject of his. This work aims to propose a set of definitions for concepts associated with violence and aggression and to show moral character/standard for these definitions.

This paper also reports and display representations and models (theoretical frameworks) proposed by the various sciences (anthropological approach, aware of complexions, and the point of view of psychological and sociological approaches) which addressed an interpretation of the subject and make research in his causes and mechanisms.

Keywords: Violence, Aggressivity, Theoretical Approaches Of Violence, Symbolic Violence.

1. مقدمة

العنف موضوع اهتمام واسع اليوم في مجتمعاتنا. فالحروب، التصفيات العرقية، المجاعات، التعصب، العنف الشبابي، سوء المعاملة الأسرية، جزء من حياتنا اليومية. العنف في كل مكان والإعلام جعله مبتذل وعادي (Banaliser) لما أصبح موضوعا مفضلا له. العنف يمس الحقوق الأساسية لكل واحد، الحق في الأمن والأمان، مثلما ينص عليه الدين الإسلامي الحنيف (المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده) والمواثيق الدولية، المادة 3 من بيان حقوق الإنسان تنص على أن: "كل شخص له الحق في الحياة، الحرية والأمن على شخصه.

بعد أن تم تعيينه كافة عالمية حقيقية، "تحد على مستوى الكوكب كله" حسب تعبير المنظمة الدولية للصحة، أصبح العنف يعتبر بمثابة إحدى المسائل الأكثر أهمية للصحة العامة الدولية.

غير أن ماهية العنف وتصنيف الأفعال العنيفة ليس محل إجماع لأنه يقوم على اعتبارات فلسفية ايديولوجية، دينية، قانونية يجدر توضيحها.

أيضا ظاهرة العنف جد معقدة، من الضروري القيام بجهد فكري للتمكن من فهم مختلف مركباتها. فلما يظهر العنف في فضاء معين، لا بد من فهم ظاهرة العنف نفسها، وأيضا الوسط الذي نمت وتشكلت فيه، دون الاهتمام فقط بفحص آثارها ومخلفاتها.¹

2. منطلقات بناء مفهوم العنف

مفهوم العنف معقد بسبب الأشكال العديدة التي يكتسبها والطريقة التي يبنى عبرها هذا المفهوم. نتيجة ذلك هنالك العديد من أنواع العنف وتعريف مختلفة، متنوعة وبعض الأحيان متضادة.²

أ. الاستخدام الشائع

تعرف القواميس الحديثة العنف على أنه حالة (Un état)، قوة شديدة غالبا مدمرة، لصدمة، لخاصية، لرغبة جامحة، ...، وكامتداد لهذا المعنى، يعين العنف مبالغة، نشاط أو قوة مفرطة، نقول مثلا: تعبير لفظي عنيف.

العنف هو أيضا حدث (Un fait)، يميزه التعسف أو التعدي في استعمال القوة بهدف مضادة أحدهم عكس إرادته (اغتصاب ملك الغير)، أو الهجوم ضد أشخاص أو ممتلكات، بهدف تدميرهم، الاستحواذ عليهم، إهانتهم.

العنف هو السلوك الذي يتسبب في أذية وأضرار للأشخاص وإتلاف للممتلكات. هنالك العديد من حالات العنف الإجرامي. كل الجرائم ضد الأشخاص (القتل، الاغتصاب، السرقة والسطو والهجوم الخطير) أمثلة للعنف الإجرامي.³

ولكن العنف أيضا جزء من حياتنا اليومية، دون أن نخرق أي قانون. الكثير من الرياضات المحببة لدينا (مثل كرة القدم) تتطلب العنف. مثلما تفعله بعض أشكال الترفيه والتسلية في الحياة (الفدرالية العالمية للمصارعة) والكثير من الأفلام وألعاب الفيديو تقدمنا من خلال صورة عنيفة.

ب. المعنى القانوني

يبحث القانون في تعيين ما العنف بالضبط، أو بشكل أدق أشكال العنف التي بموجبه تكون موضوع عقوبة أو تجريم. وهي عموما: "الأفعال التي من خلالها يتم التعبير عن عدوانية (l'Agressivité) ووحشية (la Brutalité) الإنسان الموجهة ضد بني جنسه والتي تتسبب لهم في جروح/أضرار (Lésions)، إصابات أو إرتجاجات (Traumatismes) خطيرة إلى حد ما.

ت. الأساس الأيديولوجي لتعريف العنف

مثله مثل الطبيعي أو العادي والمرضي (Pathologique)، يتوقف فهم، إدراك وتصور العنف على القيم والمعايير الفاعلة داخل مجتمع أو مجموعة ما (Groupe) في عصر معتبر أو معين.

فكرة العنف محملة بقيم إيجابية أو سلبية، مرتبطة بالوضعيات التي يحكم عليها بأنها عادية أو قانونية. هذه المعايير يمكن أن تكون مؤسساتية، قانونية، دينية، ثقافية، شخصية. إنها تقحم خطر احتمال اللامتوقع (عدم الاستعداد والقدرة)، وقوع خلل في النظام (الفوضى)، الدمار الكلي (Chaos).

وبهذا نجد أن العنف يحمل في طياته فكرة مخالفة معيار أو قيمة قائمة.

لما نتحدث عن العنف، من الصعب إذن فصل الأحداث عن الطريقة التي تدركها بها عقولنا (Façon d'appréhender les faits). وعندها يصبح من المستحيل إعطاء العنف تعريف عام أو موحد.

ث. العنف والمعايير الاجتماعية

لما نحاول تقديم تعريف عملي للسلوك العنيف، نصطدم مباشرة بمشكل المعايير (Les critères) والإطار المرجعي الذي نعتمده. لا يبدو الفعل العنيف أبداً عنيف جداً عند مرتكبه مثلما هو الحال بالنسبة للضحية. ومن المسلم به، حالياً، أن فعلاً لا يمكن الحكم عليه بأنه عنيف إلا بالرجوع إلى معايير (Normes)، إلى ظرف أو وضعية، إلى سياق (Un contexte). إن فعلاً عنيفاً، هو قبل كل شيء، فعل مخالفة (Acte de transgression). وبذلك، فإن نفس الفعل الممارس على ملعب (Rugby)، في ساحة مدرسة أو في مجلس النواب، لن يعتبر ولن ينظر إليه بنفس الطريقة، على أنه فعل عنيف.⁴

يبقى أنه بمقدورنا تقييم درجة عنف فعل مرتكب في مجتمع ما بالنسبة أو بالنظر للعقوبة التي يفترض أن تلحق بمرتكبه. دراسة مظاهر العنف تسمح إذن بدراسة القيم والمعايير الاجتماعية وترجمتها القانونية داخل المجتمع. يحيل العنف وفق هذا المعنى إلى الانحراف. إنه في هذا الأفق الذي تندرج أعمال (Norbert Elias) حول التطورات التاريخية لمظاهر العنف الفيزيقي (الجسدي) في الغرب.

أيضاً تجدر الإشارة إلى وجود محوري بحث سوسيولوجي حول العنف. قبل كل شيء سوسيولوجيا تجعل من العنف موضوع دراسة أميرقي مركبة من أعمال بمنهجيات جد متنوعة، بدأ بمنهجية دور كايم التفسيرية، مروراً بسوسيولوجيا تأويلية لماكس فيبر (Weber)، التفاعلية لمدرسة شيكاغو، إلخ. إنها مرتبطة بملاحظة أحداث العنف، ضد الأشخاص، التي يسهل التعرف عليها، ثم تأويلها.

محور بحث ثانٍ يسمح بإلقاء الضوء على قيم ومعايير المجتمعات، بالإضافة إلى نقائصها المحتملة. ويصبح بذلك وسيلة لدراسة التلاحم الاجتماعي، بالإضافة إلى طبيعة السلطة الحاكمة.

محوري البحث هذان، هما إذن مرتبطان كلاهما باعتبارات سياسية، وهو ما يجعلهما يسمحان بنفوذ اعتبارات أيديولوجية. العنف بمس فعلاً بالضرورة مسألة الأخلاق، التمثلات الجد العميقة للخير والشر، وبالتالي لتصورات العالم. وعالم الاجتماع بعيد عن أن يكون معصوم أو خال من مثل هذه الاعتبارات. لا يمكنه أن يفعل خلاف أو غير القبول بهذا الجزء اللامنتقي، اللاعقلي، اللاعلمي الذي يمثله والذي يحس به بالضرورة في عمله، مهما كان عقلاني وموضوعي.

ج. البناء الاجتماعي للمشاكل الاجتماعية (الجرم، الانحراف والعنف)

بعض القوانين التي تحمي المواطنين من الأذى الجسدي (القتل، الاعتداء، الاغتصاب)، أو فقدان الممتلكات (السرقه، التخريب المتعمد للممتلكات العامة أو الخاصة (Vandalism)) تثير وتستند إلى الاجماع والاتفاق العام (Universal agreement). ستعكس قوانين أخرى قيما دينية أو سياسية لبعض المجموعات فقط وبالتالي سوف تعارض. الجدل والخلاف القائم حول قانون الإجهاض، هو مثال رئيسي عن القيم الدينية الخلافية أو الجدلية.⁵ بإمكاننا فهم الطابع السياسي لبعض القوانين وتنفيذها إذا ما تفحصنا الأعمال التي تتحدى أولئك الذين هم في السلطة. مثلا، ردة فعل الشعب والشرطة على تحطيم الممتلكات أثناء احتفالات بطولة رياضية أو حفلة شرب-رقص لطلبة جامعيين في عطلة نهاية الأسبوع تكون عادة أقل، منه خلال مظاهرة أو مسيرة احتجاجية ضد المؤسسات. عموما، الأفعال التي تهدد البنى السياسية تستدعي وتجلب ردة فعل قوية مقارنة بتلك التي لا تفعل.

إذا ما افترضنا أن القوانين الجنائية تعكس على نحو دقيق القيم الثقافية، فعليا، لكل واحد بالمجتمع، فلن نكون مصيبيين. في المجتمعات المعقدة مثل الولايات المتحدة الأمريكية والغرب عموما وحتى بلادنا، العديد من المجموعات المختلفة تعيش مع بعضها بقيم ومعايير مختلفة داخل ثقافتها الفرعية. وبذلك فالناس، بإمكانهم الاستمساك والاحتفاظ بقيم عزيزة عليهم لا يعكسها القانون. برغم أن القوانين تمكن المجتمع من الحفاظ على بعض إجراءات التلاحم، التضامن والاستقرار. نحن في حاجة إلى الاعتراف، مع ذلك، أنها مبنية اجتماعيا (Social constructs)، ليست حيادية، ولا كينونات أو أشياء تحضي بالإجماع (Universal entities).

ح. تعيين السلوك الطبيعي والمنحرف

ما الذي يعين إذا ما كانت أفعال الأشخاص ينظر إليها على أنها غريبة الأطوار، إبداعية أو منحرفة؟ الإجابة هي الثقافة، بدقة أكبر، معايير وقيم كل ثقافة. معا، القيم والمعايير تصنع قانون الأخلاق (Moral code) للثقافة، نظام رمزي، الذي من خلال تعاليمه، السلوك يأخذ صفة أو خاصية "الحسن" أو "السيء"، "صحيح" أو "خاطئ". وبذلك، لتقرير إذا ما كان أي فعل معين هو "طبيعي" أم "منحرف"، من الضروري معرفة أكثر من مجرد أو ليس فقط ما فعله الشخص. لابد من معرفة أيضا من هو الشخص (هذه هي الهوية الاجتماعية للشخص) والسياق الاجتماعي والثقافي للفعل.⁶

بالنسبة للوسوسولوجيين، إذن، السلوك المنحرف هو السلوك الذي يفشل في موافقة قواعد ومعايير المجموعة في حد ذاتها (Durkhiem, 1960/1893).

3. نماذج تمثل العنف والعدوانية

أ. المقاربات الأنثروبولوجية

إن الخطاب الأنثروبولوجي يفضل ألفاظ العدوانية، الاعتداء، التهيج الجسماني (Irritabilité) أو روح القتال أو النضال (Combativité) عوض لفظ العنف (الصراع من أجل البقاء).

وجهة نظر علم الطبايع (Ethologique)

بالنسبة للباحث (K.Lorenz)، الاعتداء غريزة تمتلك داخلها نبض عفوي. إنه ضروري لتشكيل العالم لأنه يهيكل (يعطيها بنية وشكل) العلاقات الاجتماعية يجعلها تتطور نحو التبادل والتواصل (La communication et l'échange).

وجهة النظر العصبية الفيزيولوجية (Neurophysiologique)

العضوية (Organisme) تستجيب لمنشطات أو مثيرات (Stimulations) الوسط أو المحيط الذي تنشأ وتتطور داخله. عوامل مقلقة أو مثيرة، تسمى (Stressors) تشكل اعتداءات تستجيب أو ترد عليها العضوية التي هوجمت.

ب. المقاربات النفسية (Psychologique)

العديد من المقاربات النفسية للعدوانية تتعايش. إنها تسعى لإقامة وإثبات وجود علاقة بين السلوكيات العدوانية وعوامل معينة.

النظريات من النمط السلوكي تدرس العلاقات بين مثيرات (Stimuli) المحيط والعدوانية. منع الطعام، الحركة أو التنقلات، تغيرات معالم أو ثوابت (Paramètres) خارجية، مثل الضجيج أو درجة الحرارة، هي بنفس القدر مصادر للعدوانية والهيجان. نظريات أخرى (النماذج السلوكية)، تقوم بالخصوص على أعمال (Bandura)، تؤكد على أهمية النماذج (Modèles)، إنها تقترح أنه يوجد تعلم (Apprentissage) للعدوانية انطلاقاً من تجارب ذات جرعة عاطفية مكثفة. وفق هذا الأفق، ميل شخص للعدوانية وليد أو تابع لنماذج سلوكية عنيفة، عائلية/أسرية أو بيئية (تتعلق بالوسط).

أعمال أخرى تقود إلى اعتبار الاعتداء كاستجابة أولى أو أولية للمنع، الكبت والحزبان (Frustration)، إنه الطرح (J.Dollard) الذي ينظر إلى الاعتداء على أنه تحرير* (Catharsis) الكبت والحزبان. ويعرف الكبت على أنه "حالة موضوع (Sujet)، شخص الذي بالنسبة له الاستجابات المناسبة والملائمة للمثيرات التي تستقبلها ممنوعة" [...]. الاعتداء ينقلب أو يوجه مباشرة ضد مصدر الكبت. وإذا منعت أو كبتت بدورها، فإنها تنتج اعتداءات مشتقة (Dérivées)، أو الاعتداء على النفس (Autoagression).

المقاربات الكليينكية (Cliniques) تؤكد على العوامل الصدماتية العنيفة (Traumatiques)** مثل الانفصال أو الأزمات/المشاكل الأسرية، في تشكل الشخصيات العدوانية.

لقد أظهرت بعض الأبحاث الإحصائية وجود ارتباط بين الاعتداء الذاتي ذي الميولات الانتحارية (Autoagression suicidaire) والاعتداء الموجه ضد الآخرين. إن أبحاث دوركايم (E.Durkhiem) حول الانتحار تخلص أيضاً إلى ارتدادية وانعكاسية (la Reversibilité) العدوانية.

علم النفس الاجتماعي (Psychologie sociale) يدرس العدوانية والعنف داخل أو ضمن وضعيات التفاعل. إنه يؤكد على أهمية بنى وهياكل الوضعية، تخصيص وتوزيع (Assigment) الأدوار ويلاحظ أو يسجل أن سمات (Traits) الشخصية ليست الوحيدة المتسببة في إنتاج سلوكيات عدوانية (العنف الأسري، مفهوم الفحولة).

وجهة النظر التحليلية النفسية (Psychanalytique)

موسعا صياغات وطروحات فرويد (S.Freud)***، يعتقد (M.Klein) أن الجزء المستبطن لنبض الموت يحدث قلق نفسي (Angoisse) شديد عند الطفل، الذي يضاف إلى القلق النفسي الناتج عن قذف النبضات العدوانية نحو الخارج. هذا القلق النفسي يولد ميكازمات دفاعية عدوانية، موجهة نحو الأشياء والفوق أنا الأبوي (Surmoi parental) (الخيالات التدميرية) (Fantasmes de destruction). وكأثر رجعي، هذه النبضات العدوانية تولد قلقاً نفسياً الذي يعزز ويقوي سلوكيات الاعتداء. إن النمو الجيني (المورثات) الناجح هو من سيتوصل إلى إنهاء هذه الحلقة المفرغة. إن السلوكيات العنيفة والإجرامية تدل على فشل حل هذه المرحلة وعلى إعادة تحيين وتحديد الخيالات المدمرة لدى الطفل.

ت. المقاربات السوسولوجية

تجمع النظريات السوسولوجية بين العنف والتنظيمات الاجتماعية والسياسية.

جاعلين مصدر استلزامهم نظرية العدوانية/الكبت والحرمان (Agression/frustration)، يربط (J.C و T.R Gurr) العنف بالحرمان النسبي (La privation relative). حجم العنف بالنسبة لهما مشروط وتابع للفارق بين مستوى الطموحات والآمال ومستوى تحقيق وإشباع الأشخاص.

يقيم (S.P Huntington) رابطا بين التغيير، الحداثة والعنف. إنه يلاحظ أن تغيرات سريعة في المجتمعات تنشأ وسطا ملائما ومساعدة على التفكك والتفتت الاجتماعي (Désintégration sociale) وبذلك، بروز العنف. هذه الفكرة قريبة من الصياغات والطروحات الماركسية، التي تجعل من الصراع بين الطبقات محرك التنمية الاقتصادية والرفعي الاجتماعي (Progrès social).

إن الصياغات النسقية (Systemiques) تفسر العنف كنتيجة لتفتت النظام الاجتماعي، الذي جعلته صعاب وعوائق (Contraintes) خارجية أو داخلية (Les Inputs) يفقد توازنه.

إميل دوركايم (E. Durkheim) يربط بين العنف ومفهوم اللامعيارية (L'Anomie). إنه يتقدم بطرح مضمونه كون الأزمات، الاقتصادية، الأخلاقية والسياسية، ينجر عنها اختلال النظام، نشوء الفوضى (Une dérégulation) في معايير عمل (Les valeurs de fonctionnement) النظام الاجتماعي وفي القيم الجماعية.⁷

4. العنف الرمزي، ما هو؟

ظهرت وصيغت النظرية العامة للعنف الرمزي انطلاقا من سنوات 1970 من طرف (Pierre Bourdieu) و (Jean-Claude Passeron) في كتاب لهما يحمل عنوان (La Reproduction. Éléments pour une théorie du système d'enseignement).

أ. العنف الرمزي هو هيمنة اجتماعية (Domination sociale)

إنه عملية (Processus) الإخضاع التي من خلالها أو عبرها ينظر ويرى المهيمنون للسلمية الاجتماعية أو التراتبية الاجتماعية (Hiérarchie sociale) على أنها شرعية وطبيعية. يتبنى المهيمن عليهم ويصبحون ينظرون من خلال نظرة أو تصور المهيمنين للعالم. هذا ما يقودهم إلى أن يجعلوا لأنفسهم تمثلا سلبييا عن ذواتهم.

- يخصص المهيمنون للمهيمن عليهم مكانة دونية،

- هذه المكانة تولد وضعيات تدني من قيمة المهيمن عليهم،

- المهيمن عليهم يشعرون بالنقص أو المهانة:

○ فهم إما غير مرئيين (أي يمارسون مهنا لا يلقي لها الكثيرون بالا أو أهمية مثلا)،

○ إما موصومون أو موسومون (Stigmatiser) (يصفهم Bourdieu بكونهم مصنفين كذا (Perçus)

بينما المهيمنين هم من يصورون (Ceux qui perçoivent)،

- هذه الحقائق الاجتماعية تؤكد التمثلات الذهنية التي يخصصها المهيمنون للمهيمن عليهم،

- إلى درجة أن التراتب الاجتماعي يظهر منطقي في نظر الجميع.

للمهيمنين القدرة على فرض نظرهم هم على أنها موضوعية وجماعية، بشكل محكم إلى حد أن المهيمن عليهم لا يتفرون على أنماط تفكير أخرى غير نمط المهيمنين، إذن لا يمكنهم اجتناب العنف الرمزي. كل شيء يحدث بطريقة ضمنية ولا واعية. هذا ما يجعل أي اعتراض أو أي ثورة صعبة للغاية.

ب. العنف الرمزي، تأثير أم استعمال بدهاء (Manipulation)

إن العنف الرمزي ليست عملية تأثير أو استعمال بدهاء لأحدهم (Une manipulation)، واسع النطاق لتحقيق أغراض شخصية. إنه اعتقاد جماعي (Croyance collective) يسمح باستبقاء والحفاظ على التراتبات والسلميات (استقرار المجتمع). لها كأثر انقياد وانصياع المهيمن عليهم دون أن يحتاج المهيمنون لاستخدام القوة.⁸ يرسخ العنف الرمزي النظام القائم على أنه شرعي. إنه يخفي بذلك، علاقات القوة التي يقوم عليها التراتب والسلمية الاجتماعية. إنها تفيد في جعل العلاقات داخل البنية الاجتماعية سلمية (Pacifier).

ت. في الأخير، هل العنف الرمزي له محاسن أم لا؟

إن عالما بدون عنف رمزي هو عالم أين علاقات القوة والهيمنة تصبح ظاهرة للعيان وبالتالي عنيفة ووحشية: فإما أن تكون هنالك حرب أهلية، وإما الديكتاتورية. في عالم المؤسسة، إن ثقافة المؤسسة هي التي تلعب دور العنف الرمزي. وعندما لا تكون قوية كفاية لإعطاء الشرعية لزمامة ورياسة (Leadership) المسيرين، عند هذه اللحظة تظهر الخلافات المفتوحة والعنيفة في بعض المرات.

إن مفهوم العنف الرمزي، الذي صاغه وطوره (P. Bourdieu)، يوضح كل الصعاب التي يثيرها تعريف المعايير التي تمكن من تقرير عنف فعل ما.

إن العنف الرمزي، يعبر عنه في نفس الوقت، بشكل موضوعي من خلال قواعد، قوانين، ميكانزمات تنظيم اجتماعي (Mécanismes de régulation sociale) وبشكل ذاتي، في أنفسنا (Nos esprits)، على شكل أفكار، بني تصويرية (Schème de perception)⁹. إنها نهاية ونتاج مجموعة عمليات منتظمة (Un processus)، التي تتعد، تبين وتقوم بنفس الوقت، داخل المؤسسات وفي الذهنيات. وبذلك، فإن هذا العنف الرمزي، يظهر كنتاج لسلسلة طويلة من التجارب ممتدة عبر التاريخ، ولكنها تقدم نفسها على أنها طبيعية، بديهية.⁹

في هذا الأفق، يتصور المهيمن عليه من يوقع به العنف، من خلال مفاهيم، نظم فكرية، التي أنتجتها وأفرزتها علاقة الهيمنة والسيطرة. وبهذا، فهو لا يتوفر، إلا على الأدوات المعرفية التي يتقاسمها مع المهيمن، والتي هي بالضبط، تعبير لعلاقة الهيمنة والسيطرة.

مثال : نسبة النساء في سن 15-49 سنة، اللاتي يبررن ضرب الرجل لزوجته عند ظروف مختلفة حسب بعض الخصائص (MICS3, 2006)، الجزائر.¹⁰

الخصائص	نسبة النساء في العمر 15-49 سنة اللاتي يبررن ضرب الرجل لزوجته إذا ما :					
	خرجت دون علمه	أهملت أطفالها	تجادلت معه	رفضت المعاشرة	أحرقت الطعام	لأي من هذه الأسباب
المنطقة						
المنطقة						
وسط	46,0	42,1	27,7	34,3	17,4	56,8
شرق	64,7	66,6	36,5	52,5	30,6	78,9
غرب	58,9	54,1	27,7	40,8	24,9	68,9
جنوب	58,1	57,2	36,3	43,6	30,1	70,2

مكان الإقامة							
24401	62,7	18,2	35,8	25,1	48,5	50,2	حضر
19241	74,6	32,7	50,9	39,3	61,4	63,7	ريف
السن							
8364	66,3	21,5	35,2	29,1	52,7	53,8	19-15
8570	66,5	20,5	38,9	27,4	51,6	53,1	24-20
7147	65,9	21,1	41,0	28,6	51,0	52,9	29-25
6130	66,7	24,2	42,7	30,5	52,9	55,4	34-30
5259	69,2	27,6	46,4	33,7	56,6	59,0	39-35
4604	71,2	33,0	50,1	38,1	58,9	61,5	44-40
3567	75,1	34,0	55,0	41,0	62,6	65,6	49-45
الحالة الزوجية							
19319	72,6	29,7	50,4	36,4	58,8	62,4	متزوجة حاليا
1387	65,2	27,5	45,1	33,4	51,8	56,1	كانت متزوجة
22936	64,2	20,2	35,6	27,0	50,4	50,9	لم يسبق لها الزواج
المستوى التعليمي							
9775	85,7	47,3	64,6	51,7	72,8	77,7	أمي
8045	74,4	30,4	48,3	36,1	61,6	64,3	ابتدائي
11837	67,6	19,8	38,6	28,0	53,4	55,4	متوسط
10092	56,4	11,4	29,9	19,7	41,1	41,7	ثانوي
3893	40,5	4,2	19,0	10,6	27,9	24,9	جامعي

يظهر الجدول كيف أن نسبة عالية من النسوة الجزائريات، مهما كان مكان إقامتهم وحتى مستواهم التعليمي يبررن ضرب الأزواج لهن لأسباب لا يقرها لا الشرع الحنيف ولا المنطق السليم (Le bon sens).

5. الخلاصة: استحالة تفسير وحيد السبب

كل تفسير للعنف هو بالضرورة معقد ومتعدد العوامل. للعنف العديد من الأسباب والعديد من الآثار. هذه الظاهرة تعني علم الأحياء أو البيولوجيا، الكيمياء، علم الأخلاق، علم النفس، السوسولوجيا، السياسة، ... إذا كنا نسلم بأن غريزة العدوانية جزء من الطبيعة المغروسة في الإنسان، فإن الحضارة جعلت قانون الغاب يتراجع إلى الخلف، على الأقل، في أشكاله الخام.

إن النمو النفسي العاطفي (Psychoaffectif) - المتوازن - عملية التنشئة الاجتماعية والمؤسسات قنوات لتوجيه العنف على المستوى الفردي والجماعي، وهو ما يسمح للمجموعة بالتواجد (التعايش في إطار منظم) كذلك (أي كمجتمع). ميكانيزمات التحكم هذه تميل إلى دحر العدوانية الفردية خارج مجال ما يسمح به الضمير الحي أو السليم في كثير من الأحيان. إن التجاوزات، التعسفات والأفعال العنيفة تجعلنا نتذكر أن تدجين هذه الهمجية (البربرية) الغريزية ليست إلا جزئية أو مؤقتة. إن تفريخ العنف المدمر (التصفيات العرقية مثلا) يتولد على الأرجح عن ميكانيزمات داخلية، أحداث خارجية وتجارب مرتبطة بالتعلم الاجتماعي.

إن القضاء على العنف، في شكله المدمر، يفترض الكشف عن كل هذه الأشكال. كون العدوانية تخدم أغراضا مفيدة أو غير مفيدة، حسنة أو سيئة، من الضروري تعيين معايير التفريق، التي هي حاليا معرفة بشكل سيء.

منذ وقت قريب، كانت السلطات التي تضطلع بوضع المعايير المرجعية للحكم بالعنف، تتمثل في الدين، الدولة والعائلة. هذه المؤسسات الثلاث هي التي كانت تمارس العنف الرمزي وإنه ضدها الذي قامت الاعتراضات، بحق أم بباطل، العنيفة أحيانا، للأشخاص أو المحكومين الذين كانوا يسعون للتحرر من روابط الهيمنة والسيطرة.

حاليا، إنه من خلال خطابات يزعم أنها علمية (وهي في الحقيقة إيديولوجية بحتة لادينية)، الذي تتجه وتميل ممارسة هذا العنف الرمزي وخطابات 'المختصين' تهدف في كثير من الأحيان إلى إضفاء الشرعية على علاقات الهيمنة والسيطرة. إذن في النهاية لقد تم استبدال توجيهات دينية بتوجيهات إيديولوجية بحتة، يزعم أنها علمية، تبنى عليها إجراءات سلوكية (فردية أو حكومية).

المراجع :

1. Jaques Sémelin, La violence, observatoire Régional de la Santé Nord -Pas-de-Calais, 2011, p1.
2. Idem.
3. Jhon J Macionis, Social problems, fourth edition, Censur edition, Pearson, Upper Saddle River, USA, 2012, p 154.
4. Martine Timsitt-Berthier, Violences ..., Neuro-Psychiatre, Docteur en Sciences. E-mail : timsit.berthier@wanadoo.fr
5. Vincent N. Parrillo, Contemporary Social Problems, Sixth Edition, Pearson Education, USA, 2005, P 258.
6. Henry H. Tischler, Introduction to Sociology, Ninth Edition, Thomson Wadsworth, USA, 2007, P 153.
7. Appleford Associates, Étude documentaire sur la violence familiale : Prévention et traitement, Rapports de recherche, Direction de la recherche : Communications et développement organisationnel, MARS 1989, 1989, N°. R-03
8. « Démocratisation de l'influence : mythe ou réalité ?, Le rêve américain, dissonance cognitive et violence symbolique »
9. M. Timsit et M. Timsitt-Berthier, (1993). "Approche compréhensive du meurtre et des meurtriers dans une perspective psychobiologique". Analyse Psychologica. Psicologia Legal, XI, 1, 99 -115.
10. وزارة الصحة والسكان وإصلاح المستشفيات، المسح العنقودي متعدد المؤشرات، 3MICS، التقرير الرئيسي، الجزائر، جويلية 2009، ص 179.

الهوامش :

(*) ظاهرة تحرير ذات طابع عاطفي (émotionnel) ناتجة عن إخراج (extériorisation) لعواطف تصاحب نبض (affects) المكبوتة (refoulés) في اللاوعي (subconscient).

(**) مجموع الاضطرابات الناتجة عن إصابات أو جروح، صدمة أو انفعال عاطفي (Emotion) عنيف.

(***) عند البدء، كان (S.Freud) يعتبر العنف كقدر ممكن لنبض غريزي يبحث عن إشباع له. في كتابه (Pulsions et destins des pulsions) يميز بين النبض الجنسي، الذي يفوق الفرد بحمله نحو تحقيق أهداف النوع، ونبضات الأنا التي تهدف إلى الحفاظ الذاتي والاستبقاء الذاتي للفرد نفسه. الحب بذلك يصنفه من جهة النبضات الجنسية، أما الحقد والكراهة فيرجع إلى كفاح الأنا من أجل يؤكد ويفرض ذاته ويستبقها أو يحميها. بعد ذلك، يقحم (Freud) فكرة نبض الموت (Thanatos) المعاكس أو المقابل إلى نبضات الحياة (Ethos). إن نبض الموت مستبطن جزئيا، والذي يفسر السلوكيات العدوانية ضد الذات، والجزء الآخر يصرف إلى الخارج (Extériorisé) معبرا عن الميولات التدميرية.

(*) في الفلسفة الكانتية، تمثالات تسمح بالربط بين فئات المعاني المفهومة (L'entendement) والظواهر الخاضعة للحس والمشاهدة.